

استقبال العام

الحمد لله المبديء المعيد، أسبغ علينا النعم وهو الولي الحميد، لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، وهو الفعال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة بها نجاتنا من العذاب الشديد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أعظم به رسولاً، وأكرم به عبداً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير العبيد، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الوعيد.

أما بعد:

فانقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فمن اعتصم بحبل رجائه أيده وهداه، ومن لجأ إليه كلاًه ورعاه.

أيها المسلمون:

الليل والنهار يقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود، والمؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، وفي مطلع العام تستفتح صفحات من الأعمال بيضاء، لا يدري العبد ماذا يسطر فيها، ويروح إلى أجل قد غيب عنه علمه.

وفي مراحل العمر وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها الحصيف نفسه، فيستقل ذنبه ويستغفر ربّه ويراجع أعماله، فمن الخير يزداد، وعن

التقصير يقلع، ولا يزال العبد على هدى ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته، يقول الحسن البصري - رحمه الله - : «إن أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم في هذه الدنيا، فوقفوا عند أعمالهم، فإن كان الذي هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر».

وما حقيقة الأعمار إلا أعوام، وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، وإن عمراً يقاس بالأنفاس لسريع الانصرام، وحوادث الدهر عدة، وعبر الأيام جمّة، مدائن تعمر وأخرى تدمر، يصبح ابن آدم معافى في صحته، ثم يمسي في أطباق الثرى، يقول النبي ﷺ : «ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بم يرجع» (رواه مسلم). إنها الدنيا، العيش فيها مدموم، والسُرور فيها لا يدوم، تُغيّرُ صفاءها الآفات، وتَفجّعُ فيها الرزايا، ولا يعرف حقيقتها بصفوها وكدرها إلا المحاسبُ نفسه، ومن لم يحاسب نفسه فحياته هموم وآلام وحسرات.

أيها المسلمون:

إنّ تغيّر الأحوال وانقضاء الآجال وانقطاع الأعمال والآمال وما يحدث فيها من الفواجع والأهوال، كل ذلك يُشعر بعجز المخلوق وضعفه وشدة افتقاره إلى بارئه؛ فالدنيا محفوفة بالأنكاد والأكدار، مشحونة بالمتاعب مملوءة بالمصائب، طافحة بالأحزان والأكدار، يقول الله جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: الآية ٤]، نعيمها يزول، وسعيها يشقى، وعزيزها يذلّ، مزجت أفراحها بأتراح، وحلاوتها بمرارة، وراحتها بتعب، لا يدوم لها حال، ولا يَطْمئن لها بال، فأَيّ امرئٍ سلم فيها من العنت؟! وأَيّ امرئٍ لم تمسه المصيبة!؟

الإنسان فيها معرض للأمراض والأعراض، عيشها حقير وزمانها قصير، الأحوال فيها إما نعم زائلة، وإما بلايا نازلة، وإما منايا قاضية. قيل لعلي بن أبي طالب - عليه السلام -: «صف لنا الدنيا، قال: «من صح فيها ما آمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب»، وقد ذكر الله عز وجل حقيقتها بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: الآية ٢٠].

والمؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزاها، له شأن وللناس شأن، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (رواه مسلم).

ومن عرف الدنيا حق المعرفة لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلاء، والحياة بغير الدين تحفها المنغصات، وأسعد الناس بها أرغبتهم عنها، وأشقاهم بها أرغبتهم فيها، الفائز من أعرض عنها والهالك من رغب فيها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح).

فإياكم والاعتزاز بزهرتها، فقد اغتر قوم قبلكم فأوردتهم موارد العطب، أبهرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عداد الموتى، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم» (متفق عليه).

أيها المسلمون:

في انقضاء العام تذكر بانقضاء العمر وسرعته، ومرور الأيام تذكر بقرب الرحيل، وتوشك الأرض أن تُدال منّا كما أدلنا منها، فتأكل

أجسادنا وتشربَ دماءنا كما مَشِينَا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها. وليلتان اجعلهما في خلدك، الليلة التي في بيتك منعماً سعيداً، واللييلة التي تليها في القبر وحيداً فريداً، والموت يُكثر من نزع روح من في زهرة الحياة، يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : «إِنَّ أَقْلَ من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشُّبان، ولهذا يندر من يكبر».

فاحذر الاغترار بالسلامة والإمهال، ومتابعة كواذيب المنى والآمال، وكل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : «مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصاً لنا - أي: بيتاً من خشب وقصب - فقال: ما هذا؟ فقلنا: قد وهى فنحن نصلحه، قال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح).

عباد الله:

مهدوا لأنفسكم قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنما هو موقف عدل واقتضاء حق، وسؤال عن واجب، وخير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمه صالح النية، وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه، ومن قارب ساحل الأجل اغتنم اللحظات.

يقول يحيى بن معاذ - رحمه الله - : «العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبني قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه»، فالدنيا معبر ينبغي للإنسان أن لا ينافس بلذاتها، وأن يعبر الأيام بها، ولا يأمن التحول منها، يقول النبي ﷺ : «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (متفق عليه).

والعاقل حقاً من تغلب على طول الأمل بتذكر الموت، وإن زيارة

المقابر وتغسيل الموتى وعبادة المرضى، توقظ القلوب وتذكر بالمصير المحتوم، وإن كؤوس التسوية لن تسقيك سوى ندامة تتجرع مرارتها، فبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، فدمعة التائب تطفئ نار الغضب، وامحُ بالتوبة زلتك، وإذا أصبحت فتأمل ما مضى من ليلتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: الآية ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيّنا محمداً عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد؛ أيها المسلمون:

إنّ نصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن اغتنامه فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله وأكثر من المعاصي والسيئات بارت بضاعته، وكم من حسرة أتت تحت الثرى؟

والرّشيد من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، والموفق من اغتنم وقته وعرف دواءه من دائه ولم يُهْمَل فيُهْمَل، ودع عنك الذنوب فترك الذّنْب أيسرُ عليك من طلب التوبة، ولا تدعُ ذنباً يَخْلُفُ ذنباً، فالخير كلّهُ بحذافيره في الجنّة فأدلجوا في السّير إليها، والشّر كلّهُ بحذافيره في النّار فاجتهدوا في الهرب منها، والحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال، وها أنتم ازدلّفتم إلى عام جديد وقد ودعتم عاماً من عمركم مضى بما أودعتموه من عمل، والسّعيد من استودع مدة عمره صالحاً من عمله، والشقيّ من شهدت عليه جوارحه بقبوح زلله، فاحفظوا أيام أعماركم قبل تفردكم في قبوركم، واغتنموا أيام حياتكم قبل الفوات، وأكرموا نزل عامكم الجديد بالطاعات.

ثم اعلّموا أنّ الله أمركم بالصّلاة والسّلام على نبيه . . .